أنينَ التائبين

د. عصام إبراهيم النقيلي



{قصيدة}

{أنين التَّائبين}

مَوْلَايَ إِنِّي مُسْرِفٌ مُقَيَّدُ ** بِسِيِّئَاتٍ وَذُنُوبٍ تَحْصُدُ

دَمْعاً سَخِيّاً مَالَهُ مِنْ مَنْفَدٍ ** فِي صَدْرِ لَيْلٍ وَجُفُونٍ تَسْهَدُ[1]

يَا لَيْتَ أَيَّامِي تَعُودُ لِلْوَرَى ** فَلَنْ أَكُونَ عاصِيًا، لَوْ أُلْبَدُ[2]

بِالنَّارِ وَالْمِنْشَارِ لَنْ أَعْصَاكَ رَبْـ ** ـبِي أَوْ لِدِينِيَا الْحَنِيفِ أُفْنِدُ[3]

آهٍ وَآهٍ، إِنَّمَا هَيْهَاتَ أَنْ ** يَرْتَدَّ مَاضٍ، مَا مَضَى لَا عَائدُ[4]

فَمَا بَقَتْ إِلَّا ذُنُوبٌ تَقْسِمُ الظْ ** ظَهْرَ، وَنَارٌ فِي الْفُؤَادِ تُوقَدُ

وَحِمْلُ أَوْزَارِي عَلَى الظَّهْرِ ارْتَقَى ** وَنَارُ حَسْرَاتِي لِقَلْبِي تَعْقِدُ

يَا زَلَّةً قَدْ كُتِبَتْ فِي غَفْلَةٍ ** قَدْ ذَهَبَتْ، يَا حَسْرَةً تَحْتَدِدُ[5]

بِسَوْطِ تَوْبَةٍ تَزِيدُ حَسْرَتِي ** فَوَانِيًا[6] لَا أَغْتَفِي[7] لَا أَرْقُدُ

ضَاقَ بِيَا الْكَوْنُ بِكُلِّ وِسْعِهِ ** فَهِمْتُ وَحْدِي فِي الْفَلَا أَرْتَعِدُ

---

[1] تسهدُ: من السُّهدِ، وهو نقيض النوم، وهو الأرق والامتناع عن النوم ليلا.

[2] أُلْبَدُ: أي: (ألتصقُ)

[3] (أُفْنِدُ: أصلها: أفَنّدُ: أي: أبطلُ أو أتركُ بشدة، فالتفنيد هو التَّكذيب والإبطال)

[4] (لا العاملة عمل ليس): وتسمى "لا المشبهة بليس"، وهنا ترفع المبتدأ وتنصب الخبر، والتقدير: (لا ماضٍ عائدًا)، لكنني رفعت "عائدُ"، وهذا يجعله مبتدأً مؤخراً أو خبراً لمبتدأ محذوف.

[5] تحتددُ: من الاحتداد: الاشتداد والتمكُّن، يُقال احتدَّ الأمرُ أي صار حادّاً وصعباً

[6] (وانيًا: من وَنى: الفاتر والضَّعيف: الذي كَلَّ مَتْنُه وضَعُفَت قواه من شدة التعب أو الحزن)

[7] اغتفى في المنام: تأتي أحياناً بمعنى نام نومة خفيفة أو نعس، وهي قريبة من الفعل أغفى.

وَهَائِمٌ بَيْنَ الْقُرَى لَا رَاحِمٌ ** يَدُلُّنِي، وَلَا مُعِينٌ يُرْشِدُ

أَزِيزُ صَدْرِي وَدِمَاءُ مُقْلَتِي ** أَرَّقَنِي، فَصِحْتُ: مَنْ لِي يُنْجِدُ؟

هَلْ مِنْ شَفِيعٍ أَوْ لِمُنْقِذٍ لِهَا ** ذَا الْمُذْنِبِ الَّذِي رَمَاهُ الْأَفْسَدُ[8]

كَيْفَ السَّبِيلُ وَالْخَلَاصُ وَالْمَفَرْ ** كَيْفَ النَّجَاةُ، مَنْ لِهَذَا يُقْصَدُ؟

فَلَا سَمِيعَ أَوْ مُجِيبَ يَرْحَمُ ** وَازْدَادَ هَمِّي فَوَقَفْتُ أَنْشُدُ

يَا مَنْ يُحِبُّ التَّائِبِينَ يَا مُجِيـ ** ـبَ مَنْ دَعَا؛ أَنْتَ الْعَلِيُّ الْأَوْحَدُ

يَا رَبَّ أَرْبَابِ الدُّنَا[9] لَا يَبْخَلُ ** وَتَائِبًا عَنْ بَابِهِ لَا يَطْرُدُ

يَا قَابِلَ التَّوْبِ وَيَا غَافِرَ ذَنْـ ** ـبٍ، بَحْرُ جُودِهِ سَقَى مَنْ يَرِدُ

اغْفِرْ لِعَبْدٍ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ ** وَارْحَمْ فَقِيرًا عَفْوَكُمْ جَا يَنْشُدُ

إِنْ لَمْ تَجُدْ بِالْعَفْوِ إِنِّي هَالِكٌ ** فِي الْحَشْرِ لَا صَبْرٌ وَلَا لِي جَلَدُ

عَلَى عَذَابِكُمْ وَلَا عَنْ غَضَبِكْ ** وَفَقْدُ رِضْوَاكَ[10] عَذابٌ أَشْدَدُ

لَكِنَّ حَاشَا أَنْ تَرُدَّ تائِبًا ** فَالْعَفْوُ شِيمَةُ الْكَرِيمِ يَرْفِدُ[11]

فَأَنْتَ أَهْلُ الْجُودِ وَالْكَرَمْ، كَذَا الْـ ** إِكْرَامُ مِنْ بَحْرِ عَطَاكُمْ يَرِدُ

---

[8] يريد الشاعر بالأفسد، هو الشيطان، أي: رماه عن طريق الحق فأغواه يخرج عنه

[9] كلمة "الدُّنا" (بضم الدال) هي جمع لكلمة "الدُّنيا". وتُكتب أحياناً بالألف المقصورة (الدُّنى) أو بالألف الممدودة (الدُّنا).

[10] كلمة "رِضْوَاكَ" هي لغةٌ صحيحة في مادة (ر ض ي)، وهي مصدرٌ للفعل "رَضِيَ" مضافاً إلى كاف الخطاب، مثلها مثل "رِضَاك"، لكنها تُستخدم أحياناً في الشعر لملء الوزن الموسيقي (بزيادة الواو والألف) ولإعطاء جرسٍ أقوى.

[11] كلمة "يرفِدُ" (بفتح الياء وكسر الفاء) هي فعل مضارع من الجذر (ر ف د)، وتدور معانيها في المعاجم العربية حول الإعانة، العطاء، والدعم.

فَاهْدِ إِلَيْنَا يَا جَوادُ عَفْوَكَ ** عَفْوًا بِهِ تَهْتَزُّ هَذِي الْأَفْؤُدُ

وَجُدْ بِقُرْبٍ وَكَرَامَةِ الْعُلَا ** فَأَنْتَ رَحْمَنٌ بِيَا لَا الْوَالِدُ

لَا وَالْقَوِيْ، لَا أُمَّ تَكْوِي وُلْدَهَا ** فَكَيْفَ مَنْ هُوَ الرَّحِيمُ الْأَجْوَدُ

فَلَا تُشَمِّتْ بِي حَسُودًا، لَا تُشَمْ ** ـمِتْ بِي أَبَالِيسَ فَهُمْ صُلْبُ الْعَدُو

فَإِنِّيَا قَصَدْتُ بَابَ مَنْ يَقُلْ ** أَغْفِرْ ولَا أُبَالِيَا بِمَا عُدُو[12]

قَوْلٌ يَقُولُهُ الْكَرِيمُ وَحْدَهُ ** وَلِلدَّوَامِ قَوْلُهُ يتْجَدَّدُ

حَبِيبُنَا رَحِيمُنَا مَعْبُودُنَا ** حَارَ بِجُودِهِ الْلَّبِيبُ الْمَاجِدُ

وَحَارَ فِي كُنْهِ فِضَالِهِ الْمَلَا ** ئِكَةُ، وَالرُّوحُ الْأَمِينُ الْأَشْدَدُ[13]

فَقَالَ رَحْمَتِي عَدَتْ[14] عَذَابِيَا ** وَعْدٌ يُعَادُ وَلَهُ تَجَدُّدُ

بِالْعَفْوِ بِالْغُفْرَانِ بِالْجُودِ يَمُنْ ** يُعْطِي بِلَا حَصْرٍ لَهُ أَوْ عَدَدُ

فَأَنْ لِرَبٍّ هَذِهِ صِفَاتُهُ ** يَرُدُّنِي حَاشَا وَكَلْ[15] يَا صَمَدُ

تَلْجَأُ لَهُ الْخَلْقُ بِكُلِّ كَرْبِهِمْ ** فَيَحْرُوْ بِالرَّحْمَةِ نِعْمَ السَّيِّدُ

هَذي ظُنونِي لا وَلَنْ بِهِ أَخِيبْ[16] ** فَأَكْرِمَنْ بِرَبِّنَا، وَالسُّؤْدَدُ

---

[12] كلمة "عُدُو" (بضم العين والدال) هي مصدر للفعل "عَدَا"، ولها معانٍ متعددة في اللغة العربية تعتمد على سياق الجملة.

[13] كلمة: أشددُ: صيغة مبالغة لأشدُّ، وهي من الجذر (ش د د)، وتدل في أصلها على القوة والمتانة والصلابة. ولها عدة تصريفات ومعانٍ في المعاجم العربية، كذلك: قد اضطرَّني الخبل في هذا البيت.

[14] عدا: فعل ماضٍ بمعنى تجاوز وتخطى، كذلك: اضطرني الخبل في هذا البيت.

[15] كلْ: أصلها (كلَّا)، كُتبتْ (كلْ) لضرورة الوزن.

[16] في الصدر تذييل اضطراري لتنتهي القافية بساكن، والسُّؤددُ: هو السيادة المطلقة.

وَالْجودُ وَالْفَضْلُ لَهُ، فَأَكْرِمَنْ ** أُخْرى بِرَبٍّ طَوْلُهُ يُمَجَّدُ[17]

فَأَبْشِرَنْ يا تائِبًا بِنَفحَةٍ ** مِنْ رَحْمَةٍ مَنْ جودُهُ لا يُعْدَدُ

دَعِ الذُّنُوبَ وَاخْزِ شَيْطَانًا غَوَى ** بِظَنِّكَ الْجَمِيلِ فَهْوَ الأَمْجَدُ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لِأَنَّ اللَّهَ رَبْ ** بَنَا لَهُ الثَّنا، سَمَا[18] وَالْحَمْدُ

وَيَا عَلِيمُ إنَّ كَاتِبِيكَ قَدْ ** آذَيْتُهُمْ وَقَدْ رَأَوْ مَا يُنْكِدُ[19]

فَبَلِّغِ السَّلَامَ مِنِّي وَتَحِيْ ** يَةً لَهُمْ، كَذَا اعْتِذَارِ الْأَوْكَدُ

وَبَلِّغَنْ جِبْرِيلَنَا تَحِيَّةً ** فَحُبُّهُ بَيْنَ الْحَنَايَا[20] يَزْدَدُ[21]

وَالْمُصْطَفَى يُبْلَغْ لَهُ سَلَامُنَا ** فَهْوَ الْحَبِيبُ الْمُجْتَبَى والْأَحْمَدُ

وَاجْزِلْ ثَوَابَهُ وَعَلِّ شَأْنَهُ ** وَامْنُنْ عَلَيْنَا صُحْبَتَهْ وَالْخُلْدُ

صَلِّ إِلَهَنا عَلَيْهِ ثُمَّ سَلْ ** لِمْ كُلَّ مَا دُعِي أَيَا مُحَمَّدُ[22]

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَفُوٌّ مَاجِدُ ** غَالٍ عَلَيْنَا رَبُّنَا يَا أَوْحَدُ[23]

---

[17] الطَّوْلُ، هو: الفضل والمنّة: هو العطاء الكثير الذي لا يتبعه مَنّ؛ ويُقال "فلانٌ ذو طَوْل" أي صاحب فضل وإحسان على الناس، كذلك هو: السعة والغنى، والقدرة والسيادة.

[18] كلمة "سَمَا" (فعل ماضٍ، جذره سمو) تعني علا، ارتفع، طمح، وتسامى. تشير في اللغة إلى الارتفاع في المكانة أو الشأن.

[19] كلمة "يُنْكِدُ" (من الفعل أَنْكَدَ أو نكّدَ) تعني يُكدّر، يُضايق.

[20] كلمة "الحنايا" (جمع حنيّة) تعني في اللغة الأعماق والزوايا الخفية.

[21] كلمة "يَزْدَدُ" هي صيغة فكّ الإدغام للفعل "يزدادُ" (من الزيادة)، وقد استُخدمت هنا بضم الدال لتناسب القافية. واستخدامي لها بالرفع (يَزْدَدُ) يُعتبر ضرورة شعرية فصيحة لضبط الوزن والقافية، وهي تعطي جرساً موسيقياً قوياً للبيت.

[22] المعنى: كلما دعا داعٍ باسم أي مُحَمَّد كان كالابن والصديق وغيره، فنحن نطلب من الله تعالى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كلما ذكر اسم مُحَمَّد، أي: أيُّ مُحَمَّد كان.

[23] كثير من الصفات التي ذكر بها الله تعالى في القصيدة هي: من باب الإخبار عنه، وهو جائز.